

1

سلسلة
قصص
للأطفال

صَوْرٌ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ

تأليف
الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا

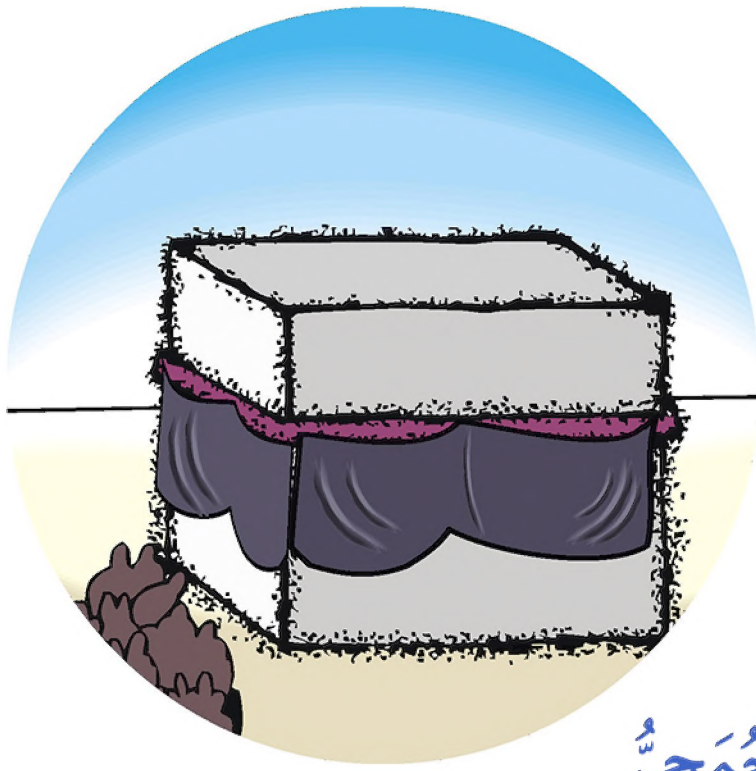


رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

سعيد بن عامر الجمحي







قال المؤرخون: "سعيد بن عامر
رجل اشترى الآخرة بالدنيا
وآثر الله ورسوله على سواهما"

سعيد بن عامر الجُمَحِيُّ



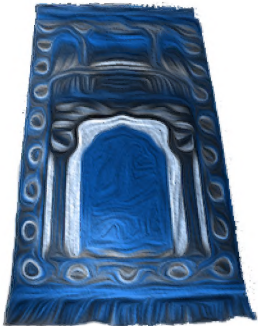
كان الفتى سعيدُ بنُ عامرِ الجُمَحِيِّ ، واحداً من الآلافِ المؤلَّفةِ ، الذين
خَرَجُوا إِلَى مِنطَقَةِ التَّنْعِيمِ فِي ظَاهِرِ مَكَّةَ بِدَعْوَةِ مِنْ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ ، لِيَشْهَدُوا
مَضْرَعَ خُبَيْبِ بْنِ عَدِيِّ أَحَدِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ بَعْدَ أَنْ ظَفِرُوا بِهِ غَدْرًا .

وقد مكَّنه شبابه الموفورُ وفُتُوته المتمدِّقةُ مِنْ أَنْ يَزَاحِمَ النَّاسَ بِالْمَنَاكِبِ ،
حَتَّى حَازَى شُيُوخَ قُرَيْشٍ مِنْ أَمْثَالِ أَبِي سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، وَصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ ،
وغيرهما مِمَّنْ يَتَصَدَّرُونَ الْمُوكِبَ .

وقد أتاحَ لَهُ ذَلِكَ أَنْ يَرَى أَسِيرَ قُرَيْشٍ مَكْبَلًا بِقِيوده ، وَأَكْفُ النِّسَاءِ
وَالصَّبِيَّانِ وَالشَّبَّانِ تَدْفَعُهُ إِلَى سَاحَةِ الْمَوْتِ دَفْعًا ، لِيَنْتَقِمُوا مِنْ مُحَمَّدٍ فِي
شَخْصِهِ ، وَلِيثَارُوا لِقَتْلَاهُمْ فِي بَدْرِ بَقْتَلِهِ .

ولما وصلتْ هذه الجموعُ الحاشِدةُ بِأَسِيرِهَا إِلَى الْمَكَانِ الْمَعْدِّ لِقَتْلِهِ ،
وَقَفَ الْفَتَى سَعِيدُ بْنُ عَامِرِ الْجُمَحِيِّ بِقَامَتِهِ الْمَمْدُودَةِ يُطِلُّ عَلَى خُبَيْبٍ ، وَهُوَ يُقَدِّمُ
إِلَى خَشَبَةِ الصَّلْبِ ، وَسَمِعَ صَوْتَهُ الثَّابِتَ الْهَادِيءَ مِنْ خِلَالِ صِيَاحِ النِّسْوَةِ
وَالصَّبِيَّانِ وَهُوَ يَقُولُ :

إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَتْرَكُونِي أَرْكُعُ رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ مَضْرَعِي فَافْعَلُوا





ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ ، وَهُوَ يَسْتَقْبِلُ الْكَعْبَةَ ، وَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ ، يَا لِحُسْنِهِمَا وَيَا لَتَمَامِهِمَا

ثُمَّ رَأَاهُ يُقْبَلُ عَلَى زُعَمَاءِ الْقَوْمِ وَيَقُولُ :
وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَظُنُّوا أَنِّي أَطَلْتُ الصَّلَاةَ جَزَعًا مِنَ الْمَوْتِ ؛ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ
الصَّلَاةِ . . .

ثُمَّ شَهِدَ قَوْمُهُ بَعَيْنِي رَأْسِهِ وَهُمْ يُمَثِّلُونَ^(١) بِخُبَيْبٍ حَيًّا ، فَيَقْطَعُونَ مِنْ جَسَدِهِ
الْقِطْعَةَ تَلَوُ^(٢) الْقِطْعَةَ وَهُمْ يَقُولُونَ لَهُ :
أَتَحِبُّ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ مَكَانَكَ وَأَنْتَ نَاجٍ ؟ .
فَيَقُولُ - وَالِدَمَاءِ تَنْزِفُ مِنْهُ - :

وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ آمِنًا وَإِدْعَاءًا فِي أَهْلِي وَوَلَدِي ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا يُوَخِّرُ
بَشُوكَةَ . .

فَيُلَوِّحُ النَّاسُ بِأَيْدِيهِمْ فِي الْفُضَاءِ ، وَيَتَعَالَى صِيَاحُهُمْ : أَنْ اقْتُلُوهُ . .
اقتلوه . . .

ثُمَّ أَبْصَرَ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ خُبَيْبًا يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ فَوْقِ خَشَبَةِ الصَّلْبِ
وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا وَلَا تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا .

ثُمَّ لَفَظَ أَنْفَاسَهُ الْأَخِيرَةَ ، وَبِهِ مَا لَمْ يَسْتَطِعْ إِحْصَاءَهُ مِنْ ضَرَبَاتِ
السِّيُوفِ وَطَعَنَاتِ الرَّمَاكِ .

عَادَتْ قَرِيشٌ إِلَى مَكَّةَ ، وَنَسِيَتْ فِي زَحْمَةِ الْأَحْدَاثِ الْجِسَامَ خُبَيْبًا
وَمُضَرَغَهُ .

(١) التمثيل بالميت : تقطيع أجزاء من بدنه .

(٢) تلو القطعة : بعد القطعة .

لَكِنَّ الْفَتَى الْيَافَعَ^(١) سَعِيدَ بْنِ عَامِرٍ الْجُمَحِيِّ لَمْ يَغْبُ خُبَيْبٌ عَنْ خَاطِرِهِ لَحْظَةً.

كَانَ يَرَاهُ فِي حُلْمِهِ إِذَا نَامَ ، وَيَرَاهُ بِخَيَالِهِ وَهُوَ مُسْتَيْقِظٌ ، وَيَمَثُلُ أَمَامَهُ وَهُوَ يَصَلِّي رَكَعَتَيْهِ الْهَادِثَتَيْنِ الْمُطْمَئِنَّتَيْنِ أَمَامَ خَشَبَةِ الصُّلْبِ ، وَيَسْمَعُ رَنِينَ صَوْتِهِ فِي أُذُنَيْهِ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى قَرِيشٍ ، فَيَخْشَى أَنْ تَضَعَهُ صَاعِقَةً أَوْ تَخْرُ عَلَيْهِ صَخْرَةٌ مِنَ السَّمَاءِ .

ثُمَّ إِنَّ خُبَيْبًا عَلَّمَ سَعِيدًا مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مِنْ قَبْلُ
عَلَّمَهُ أَنَّ الْحَيَاةَ الْحَقَّةَ عَقِيدَةٌ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِ الْعَقِيدَةِ حَتَّى الْمَوْتِ .
وَعَلَّمَهُ أَيْضًا أَنَّ الْإِيمَانَ الرَّاسِخَ يَفْعَلُ الْأَعَاجِيبَ ، وَيَصْنَعُ الْمُعْجَزَاتِ .
وَعَلَّمَهُ أَمْرًا آخَرَ ، هُوَ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يَحِبُّهُ أَصْحَابُهُ كُلُّ هَذَا الْحَبِّ إِنَّمَا هُوَ نَبِيٌّ مُؤَيَّدٌ مِنَ السَّمَاءِ .

عِنْدَ ذَلِكَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ سَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَقَامَ فِي مَلَأٍ^(٢) مِنَ النَّاسِ ، وَأَعْلَنَ بَرَاءَتَهُ مِنْ آثَامِ قَرِيشٍ وَأَوْزَارِهَا ، وَخَلَعَهُ لِأَصْنَامِهَا وَأَوْثَانِهَا وَدَخُولَهُ فِي دِينِ اللَّهِ .

هَاجَرَ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَزِمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَشَهِدَ مَعَهُ خَيْبَرَ وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الْغَزَوَاتِ .

وَلَمَّا انْتَقَلَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ إِلَى جَوَارِ رَبِّهِ وَهُوَ رَاضٍ عَنْهُ ، ظَلَّ مِنْ بَعْدِهِ سَيْفًا مَسْلُولًا فِي أَيْدِي خَلِيفَتَيْهِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ ، عَاشَ مَثَلًا فَرِيدًا فَذَاكَ لِلْمُؤْمِنِ الَّذِي اشْتَرَى الْآخِرَةَ بِالْدُنْيَا ، وَآثَرَ مَرْضَاةَ اللَّهِ وَثَوَابَهُ عَلَى سَائِرِ رَغَبَاتِ النَّفْسِ وَشَهَوَاتِ الْجَسَدِ .

(٢) مَلَأَ مِنَ النَّاسِ : جُمُوعٌ مِنَ النَّاسِ .

(١) الْيَافَعَ : الَّذِي قَارَبَ الْبُلُوغَ .

وكان خليفتنا رسول الله ﷺ يَعْرِفَانِ لَسَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ صِدْقَهُ وَتَقْوَاهُ ،
وَيَسْتَمِعَانِ إِلَى نُصْحِهِ ، وَيُصِيخَانِ إِلَى قَوْلِهِ .

دخل على عمر بن الخطاب في أول خلافته فقال : يا عمر ، أوصيك أن
تَخْشَى اللَّهَ فِي النَّاسِ ، وَلَا تَخْشَى النَّاسَ فِي اللَّهِ ، وَأَلَّا يَخَالِفَ قَوْلُكَ فِعْلَكَ ،
فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا صَدَّقَهُ الْفِعْلُ . . .

يا عمر : أَقِمْ وَجْهَكَ^(١) لِمَنْ وَلَّاكَ اللَّهُ أَمْرَهُ مِنْ بَعِيدِ الْمُسْلِمِينَ وَقَرِيبِهِمْ ،
وَأَحِبَّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ ، وَاكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ وَأَهْلِ
بَيْتِكَ ، وَخُضِرِ الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ وَلَا تَخَفْ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً .

فقال عمر : وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَا سَعِيدُ ؟ !
فقال : يَسْتَطِيعُهُ رَجُلٌ مِثْلُكَ مِمَّنْ وَلَّاَهُمُ اللَّهُ أَمْرَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ .

عند ذلك دعا عمر بن الخطاب سعيداً إلى مُؤَاوَزَتِهِ وقال :

يا سعيدُ إِنَّا مُوَلُّوكَ عَلَى أَهْلِ « حِمَصَ » .

فقال : يا عمرُ نَشَدْتُكَ اللَّهَ أَلَّا تَفْتِنَنِي^(٢) ، فَغَضِبَ عمرُ وقال :

وَيَحْكُمُ وَضَعْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ^(٣) فِي عُنُقِي ثُمَّ تَخَلَّيْتُمْ عَنِّي !! . وَاللَّهِ لَا
أَدْعُكَ .

ثم ولَّاهُ عَلَى « حِمَصَ » وقال : أَلَا نَفَرِضُ لَكَ رِزْقاً ؟

قال : وما أَفْعَلُ بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ ! فَإِنَّ عَطَائِي مِنْ بَيْتِ الْمَالِ يَزِيدُ عَن
حَاجَّتِي ، ثُمَّ مَضَى إِلَى « حِمَصَ » .

(٣) الأمر : المراد به هنا الخلافة .

(١) أقم وجهك لفلان : أدمِ النظر في أمره .

(٢) تفتنني : تُضِلِّلَنِي وتُستَمِلِنِي إِلَى الدُّنْيَا .

وما هو إلا قليل حتى وفد على أمير المؤمنين بعض من يثق بهم من أهل
« حِمَص » ، فقال لهم :

اكتبوا لي أسماء فقرائكم حتى أسد حاجتهم .

فرفعوا كتاباً فإذا فيه : فلان وفلان وسعيد بن عامر .

فقال : ومن سعيد بن عامر ؟!

فقالوا : أميرنا .

قال : أميركم فقير ؟!

قالوا : نعم ، ووالله إنه لتمر عليه الأيام الطوال ولا يوقد في بيته نار .

فبكى عمر حتى بللت دموعه لحيته ، ثم عمداً إلى ألف دينار فجعلها في

صرة وقال :

اقرؤوا عليه السلام مني ، وقولوا له : بعث إليك أمير المؤمنين بهذا

المال لتستعين به على قضاء حاجاتك .

جاء الوفد لسعيد بالصرة فنظر إليها فإذا هي دنانير ، فجعل يبعدها عنه وهو

يقول :

إنا لله وإنا إليه راجعون - كأنما نزلت به نازلة أو حل بساحته خطب - فهبت

زوجته مذعورة وقالت :

ما شأنك يا سعيد ؟! أمت أمير المؤمنين ؟!

قال : بل أعظم من ذلك ،

قالت : أصيب المسلمون في وقعة ؟!

قال : بل أعظم من ذلك .

قالت : وما أعظم من ذلك ؟!

قال : دَخَلْتُ عَلَيَّ الدُّنْيَا لِتُفْسِدَ آخِرَتِي ، وَحَلَّتْ الْفِتْنَةُ فِي بَيْتِي .

قالت : تَخْلُصُ مِنْهَا - وَهِيَ لَا تَذَرِي مِنْ أَمْرِ الدُّنَايَرِ شَيْئًا -

قال : أَوْتَعِينِنِي عَلَى ذَلِكَ ؟

قالت : نَعَمْ .

فَأَخَذَ الدُّنَايَرَ فَجَعَلَهَا فِي صُرْرٍ ثُمَّ وَزَعَهَا عَلَى فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ .

لَمْ يَمْضِ عَلَى ذَلِكَ طَوِيلٌ وَقَتٍ حَتَّى أَتَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دِيَارَ الشَّامِ يَتَفَقَّدُ أَحْوَالَهَا فَلَمَّا نَزَلَ بِحِمَصَ - وَكَانَتْ تُدْعَى « الْكُوفَةُ » وَهُوَ تَصْغِيرُ لِلْكُوفَةِ وَتَشْبِيهُ لِحِمَصَ بِهَا لِكَثْرَةِ شَكْوَى أَهْلِهَا مِنْ عَمَالِهِمْ وَوُلَايَتِهِمْ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أَهْلُ الْكُوفَةِ - فَلَمَّا نَزَلَ بِهَا لَقِيَ أَهْلَهَا لِلْسَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ :

كَيْفَ وَجَدْتُمْ أَمِيرَكُمْ ؟

فَشَكَوَهُ إِلَيْهِ وَذَكَرُوا أَرْبَعًا مِنْ أَفْعَالِهِ ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخِرِ .

قال عمر : فَجَمَعْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، وَدَعَوْتُ اللَّهَ أَلَّا يُخَيِّبَ ظَنِّي فِيهِ ؛ فَقَدْ كُنْتُ عَظِيمَ الثَّقَةِ بِهِ .

فَلَمَّا أَصْبَحُوا عِنْدِي هُمْ وَأَمِيرُهُمْ ، قُلْتُ :

مَا تَشْكُونَ مِنْ أَمِيرِكُمْ ؟

قالوا : لَا يَخْرُجُ إِلَيْنَا حَتَّى يَتَعَاطَى النَّهَارَ .

فَقُلْتُ : وَمَا تَقُولُ فِي ذَلِكَ يَا سَعِيدُ ؟ فَسَكَتَ قَلِيلًا ، ثُمَّ قَالَ :

وَاللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ أَقُولَ ذَلِكَ ، أَمَّا وَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَهْلِي

خَادِمٌ ، فَأَقُومُ فِي كُلِّ صَبَاحٍ فَأَعْجِزُ لَهُمْ عَجِينَهُمْ ، ثُمَّ أَتَرِيثُ قَلِيلًا حَتَّى

يَخْتَمِرَ ، ثُمَّ أَخْبِزُهُ لَهُمْ ، ثُمَّ أَتَوَضَّأُ وَأَخْرِجُ لِلنَّاسِ .

قال عمر : فقلت لهم : وما تشكون منه أيضاً ؟
قالوا : إنه لا يجيب أحداً بليل .
قلت : وما تقول في ذلك يا سعيد ؟
قال : إني والله كنت أكره أن أُعلنَ هذا أيضاً . فأنا قد جعلتُ النهارَ لهم
والليلَ لله عزَّ وجلَّ .

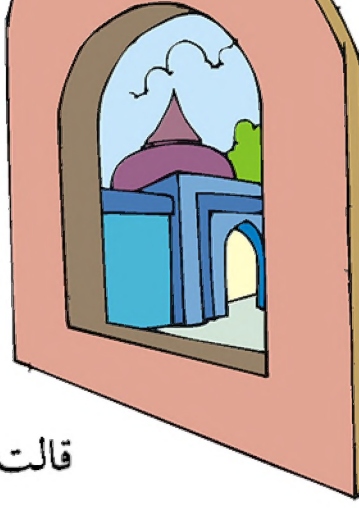
قلت : وما تشكون منه أيضاً ؟
قالوا : إنه لا يخرج إلينا يوماً في الشهر .
قلت : وما هذا يا سعيد ؟

قال : ليس لي خادمٌ يا أمير المؤمنين ، وليس عندي ثيابٌ غيرُ التي عليّ ،
فأنا أغسلُها في الشهرِ مرَّةً وأنتظرُها حتى تجفَّ ، ثم أخرج إليهم في آخرِ
النهارِ .

ثم قلت : وما تشكون منه أيضاً ؟
قالوا : تُصيبُه من حينٍ إلى آخر غَشِيَةٌ فيغيبُ عَمَّنْ في مَجْلِسِه .
فقلت : وما هذا يا سعيد ؟ !
فقال : شهدتُ مصرعَ خُبَيْبِ بنِ عَدِيٍّ وأنا مُشْرِكٌ ، ورأيتُ قريشاً تُقَطِّعُ
جَسَدَه وهي تقول :

أَتَجِبُ أن يكونَ مُحَمَّدٌ مكانَكَ ؟
فيقول : والله ما أحبُّ أن أكونَ آمناً في أهلي وولدي ، وأنَّ محمداً تشوَّكُه
شوَّكَةٌ وإني والله ما ذكرتُ ذلك اليومَ وكيفَ أنِّي تركتُ نُصْرَتَه إلا ظنَّنتُ أنَّ
اللهَ لا يَغْفِرُ لي وأصابتنِي تلك الغَشِيَةُ .

عندَ ذلك قال عمر :
الحمد لله الذي لم يخيب ظني به .



ثم بعث له بألف دينارٍ ليستعينَ بها على حاجته . فلما رأتها زوجته قالت له :

الحمدُ لله الذي أغنانا عن خِدمَتِكَ ، إشتَرِ لنا مؤنَّةً واستأجرْ لنا خادِمًا .

فقال لها : وهل لك فيما هو خيرٌ من ذلك ؟

قالت : وما ذاك ؟!

قال : ندفعُها إلى من يأتينا بها ، ونحن أحوَجُ ما نكونُ إليها .

قالت : وما ذاك ؟!

قال : نُقرضُها اللهَ قرضاً حسناً .

قالت : نعم ، وجُزيتَ خيراً .

فما غادر مجلسه الذي هو فيه حتَّى جعلَ الدنانيرَ في صُررٍ ، وقال لواحدٍ من أهله :

انطلق بها إلى أرملةِ فلانٍ ، وإلى أيتامِ فلانٍ ، وإلى مساكينِ آلِ فلانٍ ، وإلى مُعوزي آلِ فلانٍ .

رضي الله عن سعيد بن عامر الجُمحيّ فقد كان من الذين يُؤثرون^(١) على أنفسهم ولو كانتْ بهم خصاصةً^(٢) (*) .

(١) يؤثرون : يفضلون .

(٢) الخصاصة : شِدَّةُ الفقر .

(*) للاستزادة من أخبار سعيد بن عامر الجمحي انظر :

٥ - تاريخ الإسلام : ٣٥/٢ .

٦ - الإصابة : ٣٢٦/٣ .

٧ - نسب قريش : ٣٩٩ .

١ - تهذيب التهذيب : ٥١/٤ .

٢ - ابن عساكر : ١٤٥/٦ - ١٤٧ .

٣ - صفة الصفوة : ٢٧٣/١ .

٤ - حلية الأولياء : ٢٤٤/١ .

بيت المقدس

Baytalmaqdiss44@gmail.com